فضل الآداب [1]

يرجع اثر الصناعة والتجارة في تكوين العلائق الاجتماعية الى عهد ابعد كثيراً من يوم وطأ الفينيقيون الشاطىء الاغريقي للمرة الاولى ، وربما انتهى بنا الى فجر تاريخ العمران . ولولا تلك العلائق ما اختلطت الاقوام ، ولا تمازجت الاجناس ، ولا تكونت المدنية ولظلت الجماعات في وحدتها الاثنوغرافية وانقطاعها الخبري بعيدة بعضها عن بعض . ولو كان ذلك لفنيت العشائر وانقرض النوع في زمن قصير

وجدت الصناعة والتجارة فزاد تبادلها في ثروة الجمهور ، وجلب الرخاء فتعددت مظاهر الانتاج وتوفرت للافراد سهولة المعيشة . ولئن اثر ذلك التبادل في الظواهر الحسية ، وأتى بتغير محتم في عادات البلاد ومشارب اهلها برهناً عندهم تطلب الكماليات ، فانه لم يفلح يوماً في التقريب بين الشعوب وحذف ما بينها من نفور وخصام ، وتوحيد الرأي والكلمة منها . فهو إن لم يلب فوراً الحسد والطمع وحب المنافسة ، وان لم يوقد حروباً ويقم معارك هي من الهول والفظاعة ما شهده العالم في ايامنا ، فهو يترك الناس الى وقت في خلو غافلين عن المزاحمة والمقاومة ، راكنين الى التمتع والتلذذ ، لانه قاصر على عالم المحسوس السطحي — ذلك العالم اسير التغير والتبدل وعبد الاختلاف والتعدد على الدوام

إنما الشعوب كالافراد لا يتفاهمون الا بالتآلف الفكري ولا يتوحدون بغير التمازج الروحي . متاع المصانع ونتاج المعامل يحفظ ابداً طابع الشعب الذي ابتكره أو عالجه . ولكن اهل الفكر والعبقرية لا يسبكون في قالب ولا يحملون طابعاً بل يخصون الانسانية بأسرها ، ويخدمون الجميع بلا حصر ولا استثناء . يتكلمون ويعملون ويكتبون ، وسواء هم افصحوا عن نظرتهم ومشاعرهم باليونانية

---

(١) وهو خطبة افتتاحية انشأتها بالانكليزية وتليت في حفلة اقامها في فندق شبرد طلبة قسم الآداب الانكليزية في الجامعة المصرية لتكريم استاذهم ثم ترجمتها الى العربية

واللاتينية او العربية والهندية فانما هم يترجمون عن حاجات بشرية ورغبات انسانية تجمهرت في نفوسهم الكبيرة الحساسة

ما غرض الادب والبيان سوى التعبير عن الفكر والعاطفة كلاماً وكتابةً ونقل صور ذهنية خفية الى عالم الاطلاع والاستعراض . يفضي كل شعب بسرائر ضميره على اسلوب خاص ويطلق شعراً ونثراً ما كمن فيه من كآبة وحنين الى مثل اعلى هو قدوته وقبلته . حتى اذا ما اودع الكتب ما يسميه آداباً وفلسفةً وعلماً ، وبعث تلك الكتب الى البلاد القصية فكأنما هو ينفذ رسالة حبّ وتنبيه وتفاهم الى اخوته واخواته بالحياة والانسانية والقدر ، بهذا كأنما هو يريهم من نفوسهم وجهاً جديداً وشكلاً طريفاً . ليست الكتبُ لمؤلفيها ولا الآداب لموجديها بل هي ارث كل من تطلّبها وملك من انتفع بها . وليس الفرد في ذاته اهلاً للاعجاب انما هي الانسانية وحدها عجيبة بما تلازب فيها من مدهش القوى والممكنات ، الانسانية وحدها عظيمة بما تأتي به من الاعمال الباهرات

اما النوابغ فافراد اختارتهم الحياة لادراك وسط يعيشون فيه والوصول الى اقصى رغائبه وانبس نزعاته ، فهم بذلك اقرب من سواهم الى اغوار الروح الانسانية ، واسرع فهماً لحركاتها وخصائصها ، وابرع حذقاً في التعبير عنها . وكلّ اهميتهم تقوم باتصالهم المتين بالفكر الشامل الدائم الابداع ، وكأن قلب الانسانية العظيم ينبض الوقت بعد الوقت في قلوبهم الصغيرة فيظلّ صدى نبضاته متردداً في صرير اقلامهم . لذلك كانوا مازجين دماءهم بدماء الانام ، خالطين انفاسهم بانفاس بني الانسان اجمعين ، شاعرين مع مراتب الخليقة باسرها بالحاجة والتعاون ، والتوحد والتغاير ، والحزن والبكاء ، والسمو والحقارة . بل شاعرين باقتدار الكون وعجزه المتتابع في كيانهم . ولذلك كانوا انفع من الجنود واحسن فائدة

السيف قاهر معاقب اما الفكر فمثقف ملطف . السيف يغزو الممالك داحراً كتائب وجحافل ويشهر الحروب واضعاً بين الانسان والانسان جدران حقدٍ كثيفة . اما الفكر فلسيفه خفة الهواء ولطف النسيم وهول الصواعق . وبذلك السيف الذي يدعى القلم يشهر الفكر حربهُ المجيدة حرب الفرد على الجمهور ، حرب الروح على المادة ، حرب الحكمة على الزهو ، حرب الحصافة على الغرور ، حرب

انها كانت اسيرة هذه العادة وقد اعترفت في شيخوختها انها بدأت تفقد جمالها من شقتها على اثر اعتيادها هذه العادة

الكماليات

الكماليات هي العروض التي نستطيع الاستغناء عنها وانما تملكها زيادة في الرفاه . وخير ما يقال في امتلاكها قول بعضهم « اياك وتقليد الاوزة التي لبست ريش الطاووس فان شئت اقتناء شيء من الكماليات فاشتر احسن الاصناف والا فابق على ما انت عليه واصبر حتى يتوفر عندك من المال ما تستطيع به شراء ذلك الاحسن من غير ان يضيرك شراؤه »

غذاء الانسان

قال الدكتور بلمر من خطبة القاها في المعهد الملكي ببلاد الانكليز ان الغذاء اللازم لحياة الانسان وحفظ صحته يجب ان يكون حاوياً للمواد التالية

اولاً المواد البروتينية وهي مركبات نتروجينية موجودة في اللحم واللبن والبيض والحبوب والانسجة النباتية

ثانياً المواد الكربوهدراتية كالنشا والسكر

ثالثاً الادهان كالزبدة والدهن والشحم والزيوت النباتية

رابعاً الاملاح او المواد الجمادية التي توجد في اللحم واللبن والحبوب والخضر

خامساً فيتامين ا الموجود في الزبدة وزيت السمك والبيض والخضر

سادساً فيتامين ب الموجود في الخميرة وجرثومة الحبوب واللحم والبيض

سابعاً فيتامين ج الموجود في بعض الاثمار وبعض الخضر

فصار الفيتامين معدوداً من مواد الغذاء كاللحم والدهن والسكر مع انهُ لا يزال مختفياً ولم يرهُ احد حتى الآن

قرص كبير من الجبن

ستقيم ولاية نيويورك قريباً معرضاً زراعياً كبيراً . ومما يعرض فيهِ قرص من الجبن زنتهُ ١٢ طناً يصنع من ١٥٠ الف رطل لبن وهذا يعادل ما يحلب من ٧٥٠٠ بقرة في يوم واحد